

## المرأة المرتحلة بين الفاعلية والتهميش في مراعي الأطلس الكبير الأوسط

كمال احشوش

مختبر التاريخ والتراث الجهوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان، المغرب

### ملخص:

تسعى هذه المقالة إلى الوقوف على أدوار المرأة المرتحلة بين الفاعلية والتهميش بمراعي الأطلس الكبير الأوسط. من خلال تسليط الضوء على الثقافة والحياة الرعوية بمجال الأطلس الكبير الأوسط، مع العلم أن التحديد الزمني للدراسة لن يمنع من الحديث على طبيعة أدوار المرأة قبل وبعد الاستقلال.

ومن مقاصد هذه المقالة، تبيان أن أدوار المرأة المرتحلة داخل المنظومة الرعوية، جزء من ثقافة التدبير القبلي المشترك، وليس ينفك عن القيم الاجتماعية والمعنوية التي كانت قاعدة للحياة اليومية، وأساس لنمط عيش الساكنة في مواجهة مختلف الإكراهات في أبعادها المتنوعة، والكشف عن الأدوار الرئيسية، والثانوية، التي تقوم بها النسوة المرتحلات داخل المسكن الرئيس، وداخل المراعي العلوية، في إطار الانتجاع الموسمي صوب مختلف المراعي الجماعية. وإلى جانب المقصدين سالف الذكر، تروم هذه المقالة، الوقوف على مجمل التحولات التي مست أدوار المرأة المرتحلة في علاقتها مع الرجل، وتقسيم العمل بينهما. وقد خلصت المقالة إلى فاعلية المرأة داخل المنظومة الرعوية والنسيج القبلي، وجسدت هذه الفاعلية، حاجة القبيلة إلى ربح رهان التماسك الاجتماعي، الضامن لاستمرارية ثقافة الرعي، ولذلك كانت دائما تحرص على إشراك المرأة في جل الأعمال داخل البيت وخارجه، رغم بعض الإكراهات التي تواجهها في بعض الأحيان أمام سلطة الرجل.

كلمات مفتاحية: الأطلس الكبير الأوسط – ثقافة الرعي والمراعي الجماعية – المرأة المرتحلة – أدوار المرأة المرتحلة بين الثابت والمتحول.

### تقديم:

لعبت المرأة الجبلية المرتحلة دورا فعالا داخل المنظومة الرعوية، ويتجلى هذا الدور بشكل ملموس في كل ما يخص تربية الأطفال، وإعداد المأكّل للكبار، فضلا عن الأعمال البيئية التي تقوم بها بشكل يومي، من طهي، وجمع حطب التدفئة، دون إغفال الدور المهم الذي تقوم به داخل المنظومة الرعوية، وكل ما له

علاقة بالاقتصاد الرعوي؛ من الاعتناء بصغار الماشية، وتقديم الأعلاف للمواشي داخل المسكن الرئيس للأسرة، وفي كثير من الأحيان، يتضاعف هذا الدور أثناء تواجد الأسرة في المراعي الجماعية العلوية. إن مجال الأطلس الكبير الأوسط، يضم تركيبة اجتماعية متنوعة، جذبت بشكل لافت طيلة القرن الماضي باحثين كثر، أمثال " إرنست كلنير" (Ernest Gellner) الذي أنجز دراسة حول مجال زاوية أحنصال بعنوان صلحاء الأطلس «Les Saints de L'Atlas»، والباحثة مكالي مورسي (Morsy Magali) بدراسة لها حول المجال نفسه بعنوان "Les Ahansalas"، دون إغفال الدراسات الإثنوغرافية، كتلك التي قام بها كل من إميل لاووست (Laoust Emile) «Mots et Choses Berbère»، وسعيد بوليفة «Textes Berberes de L'atlas marocain»، فضلا عن دراسات باحثين مغاربة، من قبيل إينولتان "المجتمع المغربي خلال القرن 19 من 1850 إلى 1912" لأحمد التوفيق، ودراسة علي أمهان حول التحولات الاجتماعية ببجداما «Mutations Sociales dans le Haut atlas: Les Ghoujdama». ورغم هذا الاهتمام السوسيولوجي والأنثروبولوجي والتاريخي الذي حظي به هذا المجال، فإنه لا يزال بحاجة إلى دراسات أخرى، لعدة اعتبارات، منها: خصوصته من الناحية السوسيولوجية والتاريخية. فهو مجال مركب، يمزج بين بنيات اجتماعية موروثية ضاربة في عمق التنظيم القبلي القديم، وبنيات مستحدثة أدخلت في فترات تاريخية لاحقة، وفي كلا التنظيمين (الموروث والحديث) عرفت ثقافة الرعي في للأطلس الكبير الأوسط تحولات مختلفة تغري بالبحث والاهتمام.

إن الدراسات التي أشرنا إليها سابقا - بالرغم من أهميتها- هي دراسات ركزت على الجوانب العامة للحياة الرعوية، ويغلب عليها طابع التعميم وتحكمها مرجعيات ذاتية وادبولوجية. لذلك فالهدف من هذه المقالة، هو محاولة الوقوف على القضايا المجهرية في موضوع ثقافة الرعي والترحال، والبحث عن جزئيات هذه الظاهرة.

نرنو من خلال هذه المقالة، تبيان أن دور المرأة المرتحلة جزء من ثقافة التدبير القبلي المشترك، والمرتبطة بالقيم الاجتماعية والمعنوية التي كانت قاعدة للحياة اليومية، وأساسا لنمط عيش الساكنة، والكشف عن مجالات فاعليتها، والذي شمل مختلف مناحي الحياة المادية والرمزية، لاسيما فاعلية الرعي، وتقسيم المياه، ومجمل التحولات التي مست أدوار المرأة.

إن الفهم الجيد لمجتمع معين، يقضي الفهم الجيد لجوانبه الاقتصادية ونظمه الاجتماعية، وتطورها عبر الزمان والمكان، باعتبارها الموجه الأساسي لمختلف النظم الأخرى السياسية منها والثقافية. ونظرا للتفاعل الطبيعي للبنية الاقتصادية مع البنى الأخرى، فإنه بات من الضروري تداخل مجموعة من التخصصات في دراستها، فهي وإن كانت تبدو حقلًا لا اشتغال السوسيولوجي المختص بالدرجة الأولى، فإنها مفتوحة بقوة

منطق المنهج العلمي الصحيح أمام تخصصات أخرى. فالفهم الجيد لبنية اجتماعية-اقتصادية معينة، يقضي تدخل المؤرخ، والجغرافي، والأنثروبولوجي، وعالم النفس، وعالم الاقتصاد، إلى جانب السوسولوجي المتخصص، في تكامل شمولي بين مختلف هذه التخصصات، ولا بد من توصل أدوات اشتغال كل مختص من هؤلاء. ومن أجل إجراء هذه المقاصد، سوف نعتمد منهجية تاريخية تحليلية، تستند إلى وثائق من أرشيفات الجهة وخارجها، بالإضافة إلى تحريات ميدانية شملت أغلب المناطق المكونة للأطلس الكبير الأوسط. إن الطبيعة الميدانية للموضوع، حتمت علينا الاعتماد على التحقيقات الميدانية، على اعتبارها وسيلة لا غنى عنها في مثل هذه المواضيع ذات الطابع الميداني. وعليه فقد اعتمدنا بالأساس الملاحظة الميدانية، كوسيلة مهمة في البحوث العلمية التاريخية، إضافة إلى الاستمارة الموجهة إلى الساكنة المرتحلة، والتي همت ما مجموعه 216 أسرة، في مراعي متفرقة داخل الأطلس الكبير الأوسط، وقد تم تحديد هذه العينة وفق معياري التجانس والتباين. من حيث الشكل، تضمنت الاستمارة العديد من الأسئلة التي تتعلق بالخصائص الديمغرافية والاقتصادية للمستجوبين، وتضمنت أيضا أسئلة موجهة بالأساس لشريحة اجتماعية، يمكن القول عنها أنها مهمشة على الرغم من الدور الهام الذي تلعبه داخل المنظومة الرعوية بالأطلس الكبير الأوسط.

## 1. الخصائص الطبيعية والبشرية للأطلس الكبير الأوسط

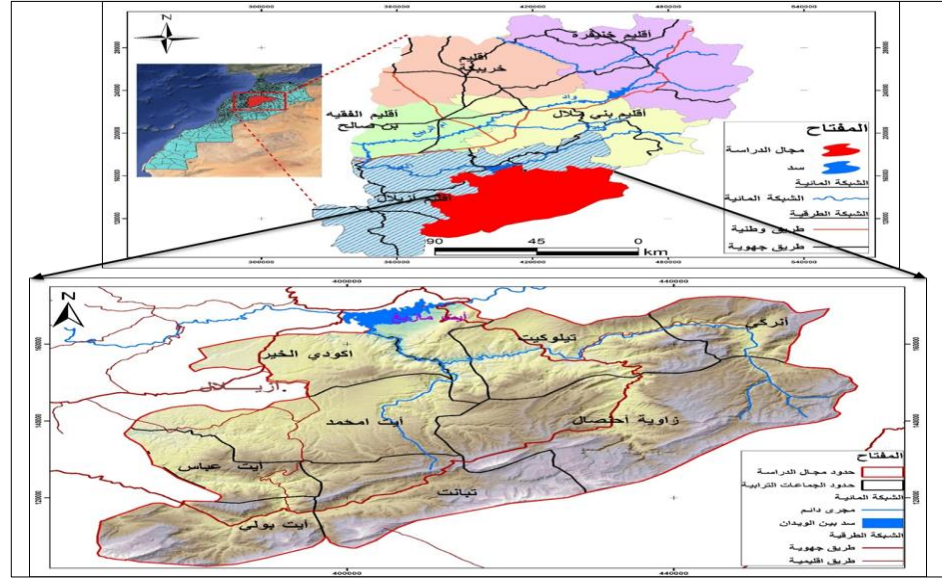
### 1-1- الخصائص الطبيعية

يقع الأطلس الكبير الأوسط ضمن سلسلة جبال الأطلس، التي تعتبر أعلى جبال بشمال أفريقيا، ما جعل البعض يطلق عليها مجازا "سقف المغرب"، أو "سقف شمال إفريقيا"<sup>1</sup>. وهو يمتد على سفحين شمالي وجنوبي، ويتوفر على موارد طبيعية وبشرية مهمة وإرث ثقافي غني.<sup>2</sup> وتشكل سلسلة الأطلس الكبير الأوسط، الجزء الأعلى من سلسلة جبال الأطلس الكبير، بارتفاع يصل إلى 4071 م بجبل مكون.

<sup>1</sup>- DRESCH Jean, Formes et Limites Climatiques et paléo-climatiques en Afrique du nord, A. Géogr. Paris, 63e année, n° 335, janv- févr, p: 56-59.

<sup>2</sup>- COUVREUR George, La vie pastorale dans le Haut Atlas central, Revue de géographie du Maroc, n°13,1968, faculté des lettres-rabat, p: 3.

### خريطة رقم 1 و 2 و 3: موقع مجال الدراسة



مصدر: عمل الباحث بالاعتماد على التقسيم الإداري للمغرب

#### أ- التضاريس: تفاوتات طبوغرافية وإمكانيات رعوية مهمة

يعتبر الأطلس الكبير الأوسط، سلسلة جبلية متماسكة، تتجاوز أغلب ارتفاعاتها 2500 متر عن سطح البحر، إذ يتكون من مجموعة من السلاسل الجبلية، والأعراف ذات ارتفاعات مهمة ومتفاوتة، وأودية متعمقة<sup>3</sup>، تتخللها العديد من المنخفضات الداخلية كحوض واويزغت (900-1000متر)، وحوض تاكلفت (100-1400متر)، بالإضافة إلى منخفض أيت عتاب، ومنخفض كطيوة، وأيت صالح، ومنخفض أزيلال. وتنتظم التضاريس على شكل خط يتجه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، لتعطي توالي مجموعة من القمم، إغيل مكون 4071 متر، وجبل تكنوسي 3825 متر، وجبل تيفردين 3770 متر، وغيرها من القمم ذات الارتفاعات المتفاوتة؛ أما الأودية الكبرى، تمتد على شكل أخاديد طولية وخنادق متقطعة<sup>4</sup>.

شكل هذا الطابع الجبلي، إطارا طبيعيا مهما لامتداد المراعي الجماعية بالأطلس الكبير الأوسط، حيث إن التفاوت المهم في الارتفاعات، والتعمق المهم في المجاري المائية، جعل المنطقة تنسم بضعف المجالات المنبسطة، التي يمكن أن تستغلها الساكنة في إقامة أنشطة زراعية. في الوقت الذي تتميز المنطقة بتنوع نباتي مهم، ساهمت فيه بشكل كبير التفاوتات الطبوغرافية من جهة أولى، والشبكة المائية المهمة عند المنخفضات من جهة ثانية. شكلت هذه العوامل دافعا مهما للساكنة، للتوجه نحو الرعي كمورد اقتصادي

<sup>3</sup>- FRISCH Jean, Le Maroc: Géographie, Organisation, Politique, paris, Ernest Leroux, 1895, p: 17.

<sup>4</sup>- الخريطة الطبوغرافية لأزيلال، زاوية أحصال، أيت بوكماز، 50000/1

في ظل غياب خيارات أخرى، نظرا للقيود التي تفرضها طبيعة التضاريس بهذا المجال. والغطاء النباتي للأطلس الكبير الأوسط له خصائص عامة متوسطة، وقد أدت غزارة تساقط الأمطار نسبيا، وعامل الارتفاع، إلى نمو مساحات شاسعة من الغابات، من أهم أشجارها العرعار، والبلوط الأخضر، والصنوبر. كما أدت الاختلافات في كميات التساقطات إلى تنوع نباتي كبير؛ ما شكل موردا مهما لقطعان الماشية بالمجال.<sup>5</sup>

### ب- المناخ: تأثر مهم بالتركيب الجبلية

يتميز مناخ المنطقة، بصيف حار مع فترات كبيرة مشمسة، وشتاء معتدل، وهو يتأثر بالتركيب التضاريسية، من توجيه للسفوح ونظام الارتفاعات، ونتيجة لذلك يتميز بالتنوع في نظام الرياح والأمطار، يتأثر بنوعين من التيارات الهوائية: الكتل والتيارات الباردة القادمة من الشمال، والتيارات الهوائية المدارية الحارة والجافة القادمة من الجنوب.<sup>6</sup> الأمر الذي يجعل مناخ السطح الشمالي يتميز بكونه مناخا قاريا، حارا صيفا، وباردا وممطر شتاء. وفي السطح الجنوبي، يمتاز بكونه مناخا صحراويا متأثرا بالارتفاع.<sup>7</sup> هذا التنوع بسبب التأثيرات الجبلية من جهة، وبسبب توجيه السفوح من جهة أخرى، رافقه تنوع مهم على مستوى الغطاء النباتي، ما وفر ظروفا مثلى لتربة تعتمد الساكنة فيها على الرعي والترحال بين مختلف المجالات، تماشيا مع المناخات السائدة بالمنطقة، وتأثيراتها على المجال؛ وبالتالي على المراعي، لتتحكم في تحركات الساكنة وقطعانها.

### ج- الشبكة المائية: تنوع وكثافة مهمة

تطافت مجموعة من العوامل الطبيعية (الارتفاعات، والطبيعة الكلسية للصخور، والتساقطات المطرية...)، لتجعل الأطلس الكبير الأوسط يمتاز بشبكة مائية مهمة ومتنوعة، نتيجة للتساقطات المطرية المهمة التي تشهدا المنطقة، والتي تكون في أغلبها على شكل تساقطات ثلجية. ما ساهم في انتشار مهم للعيون والوديان (أسيف مكن، ووادي العبيد، ووادي تساوت، وأسيف ملول، والواد الأخضر، ووادي أيت بوكماز، ووادي أيت بولي، ووادي أحنصال، ووادي برنات، ووادي وَاِبْرَازَى، أو مسيلات موسمية الجريان).

<sup>5</sup>-FOUGEROLLES André, Le Haut Atlas Central guide alpin, Société nouvelle des impression, casablanca,1982, p:42

<sup>6</sup>-CELERIER Jean, Les Conditions Géographiques de L'atlas Central, Hesperis Tome XXXV, 3° et 4° Trimestres, Année 1948, pp: 359- 362.

<sup>7</sup> - أحمد علوم، أحمد علوم، مقارنة الجغرافيا السياسية لدينامية الأنساق الطبيعية والاستراتيجية والاجتماعية والمؤسسية بأوساط هشة (الجبال المتوسطة بجهة تادلة- أزيلال) نحو استراتيجية بديلة، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافية البشرية، تحت إشراف أحمد بلاوي، جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، السنة الجامعية 2013- 2014، ص 42.

## صور رقم 1: جبل أزوركي



### تصوير شخصي بتاريخ 15.03.2015

ساهمت الشبكة المائية المهمة بهذه المجالات في تنوع الغطاء النباتي، ووفرت موردا طبيعيا تعتمد عليه الساكنة في تنقلاتها وتربية ماشيتها، وعاملا مهما على مزاوله الساكنة لهذا النشاط، وتمثل تلك العيون المائية المتواجدة داخل المراعي الجماعية، المورد الأساس في الشرب، وتوريد المواشي، وكذا الاستعمالات اليومية للساكنة.

### 2-1- الخصائص البشرية والتنظيم الاجتماعي بالأطلس الكبير الأوسط

يركز كل باحث من الباحثين الذين اشتغلوا على البنية الاجتماعية للأطلس الكبير، على وحدة من وحدات البنية الاجتماعية، ويجعلها نواة التنظيم ومركزه الأساس. فنجد مثلا أن "مونتاني" و"بيرك" يركزا على "تاقبيلت"، كوحدة مركزية تدور عليها الأمور السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية للقبيلة. (والتوفيق 1983) ركز على الأسرة، واعتبرها القلب النابض لمجتمع إنولتان.<sup>8</sup>

ولهذا ففي المجال المدروس، نصادف تداخل بعض الوحدات، وتقاسمها لأهمية المركز والنواة، فالأسرة سواء كانت ممتدة أو صغيرة، تشكل نواة التنظيم الاجتماعي. إلا أن هذه الوحدة (الأسرة) مرتبطة في مراحل أخرى سابقة بوحدة العظم (إغص)، ذلك أن تقسيم الأرض والرعي قديما، قد تم على مستوى عظام القبيلة. ووحدة العظم مرتبطة بوحدة الفخدة، لأن تقسيم مجال الأطلس الكبير الأوسط، غالبا ما يتم على مستوى الفخدات قبل تقسيمه على مستوى عظام كل فخدة.

لقد اختفت أهمية بعض تلك الوحدات اليوم، بفعل التحولات الاجتماعية المختلفة التي شهدتها المجال. فالعظم مثلا، لم تعد له أهمية لدى الساكنة اليوم، وأصبح أحيانا ذكرى من الذكريات القديمة التي يأتث بها بعض المسنين جلساتهم المناسباتية، والفخذ بدأت أهميته تضمحل، ولا تظهر إلا في بعض المناسبات، خاصة

<sup>8</sup>- التوفيق أحمد، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إنولتان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، الطبعة الأولى، ص: 96.



الانتخابات التشريعية. أما القبيلة كأعلى وحدة في التنظيم الاجتماعي، فإنها لا زالت تحافظ على بعض سماتها، خاصة الحدود المجالية، والمراعي البين-قبيلية والبين-إقليمية، والإسم، وبعض القيم، لكن مؤسساتها القديمة من "اجماعة" قد اختفت، وحلت محلها مؤسسات أخرى بأسماء حديثة، لكنها تمتح من الموروث، كمجلس الجماعة القروية والجمعية المدنية<sup>9</sup>.

أما الأسرة، فلا يزال دورها مستمرا كنواة تنظيمية للإنتاج والاستهلاك الجماعي، وإن ظهر في العشر سنوات الأخيرة، ميل إلى التخلي عن الأسرة الممتدة، والنزوح إلى استقلالية الأفراد بفعل عدة أسباب. ووحدة الدوار لا تزال تعيش حيوية كبيرة، إلا أنها لا تستطيع الحفاظ على بعض خصوصياتها، لأنها وحدة مرنة قابلة للانشقاق في أي صراع حول الأرض والانتجاع، والمراعي الجماعية.

### 3-1- المراعي الجماعية: تعدد في المفهوم وطريقة لتدبير الموارد

#### أ- مفهوم أكداال:

يمكن تعريف Agdal "أكداال" لغويا، مصدرا لفعل Gdl الذي يعني Hram "حرام" باللغة العربية. مفرده «Agdal» جمع Igdaln\_Igdlan مؤنثه Tagdalt جمع Tigudlin، ونجد أيضا مصطلح Azib "لعزيب" و Agdar للدلالة على "أكداال".<sup>10</sup>

وأكداال مصطلح أمازيغي، متداول لدى المجموعات البشرية المغاربية، وفي الصحراء الكبرى. ففي الجزائر نجد مصطلح Agdal للدلالة على المجالات المسيجة، وفي تونس نجد مصطلح Tagdielt للدلالة على حماية مرعى، وفي منطقة الهكار يستعمل الطوارق مصطلح Egadal أو Amadal، (Terre étant interdite) 'itwagdaln' بمعنى مجال محمي، وفي المغرب وخاصة بجبال الأطلس والصحراء نجد مفهوم Agdal أو Tagdalt للدلالة على المجالات المشتركة.<sup>11</sup>

<sup>9</sup>- حيث لا زالت وحدة الفخذ هي الحاسمة أحيانا في انتخاب رئيس الجماعة المحلية، وبذلك يكون رئيس الجماعة المحلية اليوم "أمغار" قديم باسم وقانون جديد، ورئيس الجمعية المدنية الآن، هو بمثابة شيخ أو زعيم محلي، وتجد فيه الجماعة طموحاتها المشتركة.

<sup>10</sup>- LAOUST Emile, Mots et Choses Berbères, Publications de l'institut des Hautes Études Marocaines, Société Marocaine D'éditions, Rabat 1983, p: 41.

<sup>11</sup>- Ibid, p: 42.

إن ما يمكن استنتاجه من المعطيات اللسانية لكلمة "أكدال"، أنه يدل من الناحية اللغوية على الرفض، والمنع، والحماية، والرعاية، والمقدس، والمسيح، والشرف، وبتعبير أدق "اجعل نفسك بعيدا عن المكان لأنه محمي".<sup>12</sup>

ومن الناحية الاصطلاحية، فهو مفهوم يستعمل للدلالة على المراعي المشتركة Les pâturages Collectifs، ويدل أيضا على أوقات فتح وإغلاق هذه المجالات، ويعرفه جاك بيرك "بأنه مجال طبيعي وبشري محمي، وملك لجماعة بشرية فرضت سلطتها على ذلك المجال".<sup>13</sup> أما عبد الله حرزني، فقد أعطاه الاصطلاح التالي:<sup>14</sup> "Un Produit de L'histoire Locale"، بمعنى "أن الأكدال نتاج تاريخي لجماعة محلية". أما روبير مونتاني، فيرى أن الأكدال "نوع من التسيير الإداري لحماية مصادر محددة داخل مجال محدد"<sup>15</sup>، وفي بعض مناطق الأطلس الكبير، تدل كلمة أكدال على المقابر باعتبارها أماكن مليئة بالعشب والأشجار ومحرمة أيضا.

وعموما، فالمرعى مصدر مشترك بين أعضاء قبيلة واحدة، أو بين مجموعة من القبائل في بعض الأحيان، بالرغم من أنه يبدو مصطلحا بسيطا، إلا أنه مصطلح مركب ومعقد. وداخل المرعى الجماعي المشترك يقسم العمل بين مكونات الأسرة المرتحلة، والتي تلعب فيه المرأة دورا مهما ومحوريا، نظرا لفاعليتها التي تمتحها من الأدوار المنوطة بها داخل المسكن في الدوار، وخارجه في المراعي الجماعية.

## 2- فاعلية المرأة الجبيلة المرتحلة في مجتمع الرحل داخل الأطلس الكبير الأوسط

تتنوع المهام الموكلة للمرأة داخل مراعي الأطلس الكبير الأوسط، بين المهام البيئية من طهي، وجمع الحطب، وغسل الأواني، ورعي القطعان في مراعي الدوار المجاورة للمسكن الرئيس. ويضاف إلى هذه الأعمال التي تشغل حيزا كبيرا من وقت المرأة المرتحلة، المهام المتعلقة بالتنمية الحيوانية التي تستوجب الجهد الكبير. وتختلف هذه المهام مع اختلاف الفصول، والحالة الإنتاجية للقطيع، حيث كلما كانت السنة مطيرة وتوفر الكلاً في المراعي - سواء في مراعي الدوار، أو المراعي البيئقبلية، أو المراعي البيئقبلية- إلا وازداد جهد النساء المرتحلات، وكثرت أعمالهن، وبرزت فاعليتهن داخل الحياة الرعوية.

12- HERZENI Abdellah, l'Agdal à l'épreuve des stratégies familiales et de l'action collective, le cas des ayt Bouguemmez, Agdal, Patrimoine Socio-écologique de L'Atlas Marocain, Sous la direction de Laurent Auclair Mohamed Alifriqui, IRCAM-IRD Édition 2012. p: 45.

13- BERQUE Jacque, Structures Sociales du Haut Atlas, 2 édition; paris 1978, p: 92.

14- HERZENI Abdellah, Op cit, p: 73.

15- MONTAGNE Robert, Les Berbères et le makhzen dans le sud du Maroc, édition Afrique orient, Casablanca, p:82.



## 1-2- المهام البيئية للمرأة الجبلية المرتحلة

تشغل المهام البيئية حيزا كبيرا من أشغال المرأة المرتحلة كغيرها من النساء، هذه الأعمال التي تتكلف بها كل يوم، وتشغل حيزا هاما من وقت المرأة المرتحلة، إلا أن المتغير في أعمال المرأة تكون عندما تبدأ العملية الزراعية في مجال البور قبيل فصل الخريف، حيث يقوم الرجال بإزالة الأحرش (أفْرُوْكْس)، وبناء المدرجات (إِمَارِين)، وترميم المهدمة منها، وتسميد الأرض بروث الحيوانات، خاصة بالمساحات الزراعية المنتشرة في السفوح (إِكْرَان). ومع سقوط أول أمطار الخريف، تستعد الساكنة لأول أيام الحرث، وتبدأ العملية ببعض الممارسات الطقوسية، كرمي أجزاء من الملح الحجري في الأخاديد الأولى، لأجل جلب البركة وإبعاد الشر.<sup>16</sup> المرأة نادرا ما تتدخل في عملية الحرث، فالحرث عمل ذكوري بامتياز. ونادرا ما يترك المحراث للمراهقين، إلا أن خوض هذه التجربة ضروري لهم، ومنها يعلنون بداية خوضهم عمل الكبار، ومغادرة عالم الصغار، لذلك يتحينون الفرصة كل مرة للامساك بيد المحراث الخشبي.

ورغم إبعاد المرأة من عملية الحرث، فإن ذلك لا يعني أن لائحة أشغالها اليومية قد تقلصت في هذه الفترة. الاستيقاظ باكرا ضروري لتهيئ الفطور، المكون من الخبز من دقيق الشعير، الممزوج بالدقيق المجلوب من السوق. ويتكون الفطور كذلك من وجبة "أسكيف"، المهياة من دقيق القطني (خاصة الجبلانية)، مع مشروب الشاي طبعاً.<sup>17</sup> وعليها كذلك أن تهيئ وجبة الغذاء، وتخصيص جزء منها "لأشريك" (المكلف بالحرث)، وجزء آخر للراعي "أمكسا". وعلى كل حال، فلائحة الأشغال مستمرة طيلة اليوم، وهي لائحة تمزج بين أشغال منزلية محضة، وأخرى خارج المنزل، كجلب الماء والحطب، لهذا فإن تواجد عدة نساء في أسرة واحدة، يعتبر إيجابيا من ناحية تقسيم هذه الأشغال المضنية.

أما رب الأسرة المتمتع نسبيا بموقع إصدار الأوامر، وهو غالبا الأكبر سنا بين الإخوة، فنادرا ما يمارس عملا مختصا به كما هو الشأن بالنسبة للراعي و"أشريك"، فهو تارة يتفقد عملية الحرث، ويصلح ما فسد من أدواته، وتارة يتفقد بعض الأمور المنزلية، ويساعد النساء في عملية علف بعض الحيوانات، ويقضي جزءا من الوقت في المسجد مع أقرانه، ولا يكسر نمط أشغاله هذه إلا يوم السوق أو السفر.<sup>18</sup>

<sup>16</sup>- رواية شفوية للسيدة محند أيت عيسى، من مواليد 1967، بدوار برنات أيت أحمد، تاريخ إجراء المقابلة 16.6.2014.

<sup>17</sup>- رواية للسيدة تودة بويضان، من مواليد 1969، بدوار برنات أيت أحمد، تاريخ إجراء المقابلة 16.6.2014.

<sup>18</sup>- Archive du Maroc, Boit 13, Région de Marrakech, Rapport sur Les terres Collectives d'Azilal (Ait boulli), 1930, p: 14.

## صورة رقم 2: جلب الحطب



### عمل ميداني، تصوير شخصي 2014-2019

ينتهي فصل الخريف، وتعاد أدوات الحرث إلى مخابئها، ليبدأ فصل الشتاء الذي يعطل الحركة نسيباً، ورغم ذلك فيبعض الأشغال اليومية واردة بقوة، وهي أشغال لا تختلف كثيراً عن تلك التي تقوم بها النساء، خصوصاً قطع أغصان أشجار البلوط الأخضر، ونقلها إلى المنازل كعلف للمواشي "المحاصرة" عند تهاطل الثلوج، لدرء النقص الحاصل في المخزون، وهي عملية شاقة يتعاون عليها الجنسان، حيث يقوم الرجال بعملية قطع الأغصان، في حين تعمل النساء على نقلها إلى المنزل فوق ظهورهن.<sup>19</sup> وعملية قطع أغصان أشجار البلوط الأخضر (تسافت)، تستمر طوال فصل الخريف إلى نهاية فصل الشتاء، لكن الأشجار القريبة من المسكن، يحتفظ بها لفصل الشتاء القاسي، في حين تستغل الأشجار البعيدة المنتشرة في السفوح في الفترات الأخرى التي يكون فيها الجو رطباً نسيبياً.<sup>20</sup>

مع بداية فصل الربيع، تبدأ النباتات والمزروعات في النمو، وتعود الحركة إلى مجال البور، فتبدأ النساء والفتيات في تنقية الحقول من الأعشاب وتقديمها للمواشي، خاصة الأبقار منها. في هذا الفصل، تنشط كذلك عملية بناء المنازل، وإضافة مرافق أخرى إلى المنزل القديم.

### صورة رقم 3: عملية قطف العدس من طرف النساء



### عمل ميداني، تصوير شخصي 2014-2019

<sup>19</sup>- Archive du Maroc, Boit 13, Service des Affaire Indigènes Région de Marrakech, Cercle D'Azilal, Annexe des Ayt Mohammed, Poste de Zaouïa Ahansal, Accorde de Transhumance, Pâturage, 13 Décembre 1936, p: 2-3.

<sup>20</sup>- Ibid, p: 3.

في فصل الصيف، الذي هو فصل الأشغال المكثفة بمجال البور، حيث تبدأ كثافة الأشغال ببداية فترة الحصاد، وغالبا ما تبدأ هذه العملية بالمستغلات المنبسطة المعروفة محليا بـ "إكران". النساء كذلك، في هذه الفترة، تزداد لائحة أشغالهن، وتكون أكثر إلزامية. فالمرأة في هذه الفترة تشتغل طوال اليوم، منذ الصباح الباكر دون انقطاع في إعداد الوجبات الغذائية. ونشير إلى أن في هذه الفترة، تزداد عدد الوجبات بالمقارنة مع الفصول الأخرى، فعملية الحصاد "تأشواالت" تستدعي طاقة مهمة، وبالتالي كمية زائدة من الأطعمة. ويعتبر الكسكس "إبرين"، إحدى الوجبات المميزة لهذه الفترة، مع مشروب اللبن. ويتوجب عليها كذلك، أن تجمع رزم الشعير، ونقلها إلى البيدر "أنزراز"، كما أن المرأة هي المكلفة بقطف القطاني من عدس وجلبانة.<sup>21</sup> ويمكن أن نلاحظ أن عملية تقسيم العمل غير عادلة ومتكافئة بين الجنسين، لهذا يتدخل الرجال أحيانا في عملية جمع الرزم باستعمال أداة "إسكني"، وهم يعتبرون ذلك مساعدة منهم للنساء، لأن عملية جمع الرزم ليست من اختصاصهم حسب العرف.

على العموم، لا مجال للوقت الفارغ في هذه الفترة الحاسمة، حيث يجب أن تتم كل العمليات من حصاد، وجمع ودرس، وإدخال المحصول بأقصى سرعة ممكنة، خوفا من الرياح القوية والأمطار الرعدية، التي تكثر في الأطلس الكبير الأوسط في هذه الفترة من السنة.

## 2-2- الدور الاقتصادي للمرأة المرحلة داخل المنظومة الرعوية بالأطلس الكبير الأوسط

إلى جانب الأشغال سالف الذكر، والخاصة بالأعمال البيئية، تضطلع المرأة المرحلة بأدوار أخرى، تدخل في صميم رزنامة الاقتصاد الرعوي الخاص بالأسرة المرحلة، ومن بينها: العناية بصغار الماشية، من الماعز والأغنام التي لا تقوى على مرافقة القطيع إلى المراعي العلوية ذات التنقلات البعيدة، وحتى بعد وصولها لسن يسمح لها بذلك، يتم عزل الصغار عن أمهاتهم كل صباح، بغية عدم استنفاد حليب الأمهات الذي يستهلك أيضا من طرف الأسرة.<sup>22</sup> هذه المهام تزداد تعقيدا في الفترة المسائية عند عودة القطيع، حيث يتوجب على المرأة قبل الشروع في حلب الإناث من القطيع، تقديم الصغار التائهة إلى أمهاتهم، والتأكد من عدم وجود حالات رفض من قبل الأمهات لصغارها.<sup>23</sup>

<sup>21</sup>- رواية شفوية للسيدة عائشة إحدى من مواليد دوار إكلوان بأيت بوكماز، تاريخ إجراء المقابلة 20.06.2017.

<sup>22</sup>- Archive D'Ait Mohammed, Cercle Zaouïa Ahansal, Cercle Azilal, Procès Verbal, pâturage Igourdan, le Capitaine LAUBIES, chef du Bureau des Affaires Indigènes des Ait M'Hamed, 1937, p: 4.

<sup>23</sup>- Ibid, p: 5.

#### صورة رقم 4: تقديم الأعلاف لصغار الماشية "أميلاال"



#### تصوير شخصي بتاريخ 12.12.2016

إلى جانب رعاية صغار الماشية حديثة الولادة، يعهد للمرأة أيضا، الحرص على عدم اختلاط هذه القطعان حديثة الولادة والتي ترعى بجوار الدوار بقطعان الرعاة الآخرين، وهو عادة ما يسبب مشاكل للمرأة.<sup>24</sup> دون إغفال دورها المتمثل في الاهتمام بالقطعان التي لا تغادر المسكن الرئيس لأسباب معينة كالمرض، وتقوم بمداواتها، وتقدم لها الأعلاف، ومياه الشرب. إضافة إلى رؤوس الماشية المكسورة من أحد أطرافها، حيث يتم تجبير كسرهما، وإخراجها إلى محاذاة المسكن لمدة شهر أو شهرين.<sup>25</sup> كما تعتنى المرأة بالإناث التي تظهر عليها علامات الوضع، هذه الأخيرة التي تتطلب عناية خاصة. بالإضافة إلى دورها في العناية بصغار الماشية التي لا تقبلها أمهاتها، حيث تربطها بمكان بجوار المسكن يسمى "أميلاال" وتكون قريبة من أمهاتها لتألف صغارها، وتتكلف المرأة بعلفها وسقيها، خصوصا في بعض المواسم التي تعرف ارتفاعا في الولادات.<sup>26</sup>

<sup>24</sup>- Archive D'Ait M'hammed, Cercle D'Azilal, Procès Verbal, note sur pâturage Alouz, 10 juillet 1937, Le Capitaine LAUBIES, chef du Bureau des Affaires Indigènes des Ait M'Hamed et Le Capitaine TORTRAT chef du Bureau des Affaires Indigènes de Ouauouzarht, p: 6.

<sup>25</sup>- Archive D'Ait M'hammed, Cercle D'Azilal, Procès Verbal, note sur pâturage Alouz, Doc cité, p: 7.

<sup>26</sup>- ibid.

### 3-2- الدور الديني والطقوسي للمرأة المرتحلة داخل مراعي الأطلس الكبير الأوسط

إن وجود كثير من المراعي التي تحمل بصمات الأولياء والصلحاء بمختلف مناطق الأطلس الكبير الأوسط، على شكل قبور وأضرحة ومزارات، أو وجود وثائق محلية تؤكد تدخل الصلحاء في هذه المجالات المشتركة، لدليل واضح على حضور المقدس باعتباره مرجعية أساسية لاستغلال الأكدال وحمايته.<sup>27</sup>

فامتلاك الأكدال من طرف جماعة بشرية، غالبا ما يبرر باعتباره هبة من الله، أو من ولي صالح، أو من جد قبلي، أو بأشكال أخرى كالحروب والتبادل (الشراء)، أو بشكل عفوي أيضا، ولعل التعبير التالي خير دليل على ذلك: "Agdal Rby D'ougram daght ifan"، أي "الله والأكرام هم وحدهم من أعطونا الأكدال".<sup>28</sup> وحسب اعتقاد الساكنة، يتم حماية هذه المجالات من طرف الأولياء، حيث لا يقدر شخص كيفما كانت مكانته داخل النسيج القبلي، أن ينتهك حرمة المرعى الذي يتوفر على قبر ولي أو مزار، خوفا من أن تطاله لعنتهم.<sup>29</sup>

#### صورة رقم 5: زيارة مزار إمكيران بمرعى "تالمست" بأيت عباس



#### تصوير شخصي 2017

تختلف الطقوس المرافقة لزيارة الأضرحة والمزارات بالأطلس الكبير الأوسط باختلاف القبائل ومناطق المجال المدروس، وتكون هذه الزيارات مرتبطة أساسا ببداية الدورة الزراعية أو نهايتها، ثم فترة افتتاح المراعي الجماعية. ويطلق على هذه الطقوس "المعروف"، أو "تَغْرَسِي"، أو "الباروك"، وفي بعض

<sup>27</sup>- Archive du Maroc, Région de Marrakech, Cercle D'Azilal, Poste de Bin El Ouidan, Notices sur les Zaouïas Confrères et Sanctuaires (Zaouïa D'Ahansal), Le Lieutenant PAULIN Chef du Bureau des Renseignements, 10 Février 1923.

<sup>28</sup>- رواية شفوية للسيدة عبيشة أبيحة، من مواليد 1953 بأوسيكيس مسمير، تاريخ إجراء المقابلة 15.05.2015.

<sup>29</sup>- نفسه.



الأحيان تسمى هذه الاحتفاليات "موسم"<sup>30</sup> هذا النوع من "المعروف"، يحضره عدد كبير من الزوار. وتقام وليمة معدة أساسا على شرف ضريح الولي، تساهم فيها القبائل برؤوس أغنام كذبائح وقرابين. هذه الوليمة تكون مصاحبة بالرقص "أحيدوس"، وأهازيج تنم عن العلاقات القوية التي تربط بين القبائل، وكدعوة لبعض القبائل التي دخلت في صراعات مع القبائل المنظمة للمعروف لإنهاء هذا الخلاف.

يعتبر الإنتهاء من المعروف بمثابة إعلان رسمي لولوج المراعي الجماعية. وقبل يومين من الوصول إلى المرعى، يعهد للرجال بإصلاح "إمزار"، أو لعزيب، من الأضرار التي تعرضت لها، من هدم أو أضرار طبيعية، نجمت عن التساقطات المطرية والتلجية. و فور الإنتهاء من إصلاح مسكن الأسرة داخل المرعى، يؤذن لها بالدخول. بعد ولوج المسكن، تقوم الساكنة بذبح رأس أو رأسين من مواشيتها، وبالضبط داخل "العزيب" أو "أمازير"، الذي ظل خاليا لمدة طويلة، وذلك تقاديا للشر، ويسمى هذا الطقس محليا بـ"إسكار"<sup>31</sup>.

يقصد بـ"إسكار" القوى الغيبية، وكل ما له علاقة بالجن والشر، والذي من شأنه أن يؤثر على الحياة اليومية للرحل ومواشيهم داخل المرعى. يبدأ هذا الطقس بذبح أضحية، ويجب أن تكون من صنف الماعز، وتكون سوداء، مع ترديد كلمات من قبيل: "تُسَلِّمُ أَوْنَا أَعْيَانِيُنْ أُرْتِينَانَانِي"، أي (سلمنا أمرنا لكل القوى الغيبية التي ترانا ولا نراها).<sup>32</sup> يعقب طقس الذبيحة "تِيغْرَسِي"، بأخذ النساء قدحا من الماء الممزوج بكميات من الملح، ويرش داخل أرجاء الملاجئ "إمزار"، وكذا الحرائس "الزربية" المخصصة لحراسة القطعان ليلا داخل المرعى، ثم العيون المائية التي يتم توريد الماشية منها.<sup>33</sup> لكن ما يجب الإشارة إليه في إطار طقس "إسكار"، هو أن النساء تقمن برش الملح باليد اليسرى، ويمنع الكلام أثناء القيام بهذا الطقس، كما يتم إبعاد الأطفال عن مكان القيام بهذه الممارسات، لمنع الكلام وإنجاح طقس إسكار.<sup>34</sup>

يعتبر الملح من المواد الرئيسية التي تستعمل في طقس "إسكار"، لاعتباره – حسب اعتقاد الرعاة - هو من يحفظهم من الجن ويبعد الشر عنهم. ومادام الملح موجه للجن والقوى الغيبية، فإنه يتحتم على الأسرة استعماله بإفراط في وجبة العشاء لتلك الليلة. وبعد تقسيم الأضحية، يتم طهي رأسها، وجمع العظام في كيس

<sup>30</sup>- GAVINET Jordane, Appropriation, Usage et Gestion des ressources sylvo-Pastoral a Wabzaza, Atlas Central, Maroc, Mémoire présente pour l'obtention du diplôme d'ingénieur Forestier Spécialisation Foresterie Rurale et Tropicale, p: 84.

<sup>31</sup>- رواية شفوية سابقة للسيدة عيشة أبيجة.

<sup>32</sup>- نفسه.

<sup>33</sup>- رواية شفوية سابقة للسيدة عائشة أحدى.

<sup>34</sup>- نفسه.



يخلط بالحناء، والشعير، وبعض اللحم، دون إضافة الملح، لأنها وجبة موجهة بالأساس للجن. وتذهب به النساء ليلا إلى مكان يستحسن أن يكون خاليا وفيه أشجار، ويتم إلقاء ذلك الكيس، شريطة عدم الكلام، ورميه باليد اليسرى، ثم عدم الالتفات صوب المكان الذي رمي فيه الكيس.<sup>35</sup>

وبالرجوع إلى تحليل هذا الطقس، فهو يدل على رغبة الرجل إبعاد القوى الغيبية عن مكان انتجاعهم، وإشراكهم مواشيهم وأطفالهم. ويدل إعداد الطعام بالملح الزائد، دليل واضح على رغبة الرجل إبعاد الجن عن طعامهم. أما تحضير طقس "إسكار" باليد اليسرى، ورميه ليلا بنفس اليد، لدليل واضح على الإستثناء الذي تعرفه الأسر المرتحلة، وتعتبر عن القيام بأشياء غير مرغوب فيها. أما الصمت، فهو دليل على رغبتهم في إنجاح عملية "إسكار"، ويربطونها بقداسة الصلاة، لكون المصلي إذا تلى القرآن جهرا في بعض الصلوات السرية وجب عليه إعادتها. لذلك فطقس "إسكار"، لضمان نجاحه، يجب أن يسود الصمت، ويبعد الأطفال عن مكان إقامته. هذه الطقوس تختلف من منطقة لأخرى، كما تختلف أنواع القرابين والأضحيات التي يقدمها الزوار والرحل لإبعاد الشر والقوى الغيبية عن مكان انتجاعهم وعيشهم الموسمي.

### 3- المرأة المرتحلة بين تهيمش أدوارها وصعوبة المجال الجغرافي للأطلس الكبير الأوسط

إن هذا الدور الهام للمرأة في المجتمعات الرعوية داخل الأطلس الكبير الأوسط، يقابله في الواقع عدم الاعتراف بمحوريتها من طرف الرجل. ومع حركية الأسر المرتحلة بين مختلف المراعي، وكذا تفشي ظاهرة الزواج في سن مبكرة، هو ما يؤدي – حسب الروايات الشفهية المستقاة- في كثير من الأحيان، إلى العزوف عن التمدرس، وتفشي الأمية بين النساء المرتحلات.

#### 3-1 ارتفاع نسبة الأمية في أوساط النساء المرتحلات بالأطلس الكبير الأوسط

تشكل نسبة الأمية بين النساء المرتحلات بمراعي الأطلس الكبير الأوسط 94% سنة 2004، و92% سنة 2014،<sup>36</sup> شأنهم في ذلك شأن باقي نساء الرحل على الصعيد الوطني. واستنادا إلى العينة المدروسة في أوساط الرحل بمراعي الأطلس الكبير الأوسط، فإن نسبة الأمية وصلت إلى 86% سنة 2019،<sup>37</sup> ويعزى هذا الارتفاع إلى نمط المعيش اليومي للرحل، حيث دأبت الأسر المرتحلة إلى التنقل بين مختلف "الأكدالات" ومراعي الأطلس الكبير الأوسط؛ الشيء الذي يصعب ولوج المدارس، رغم مجهودات الدولة في توفير

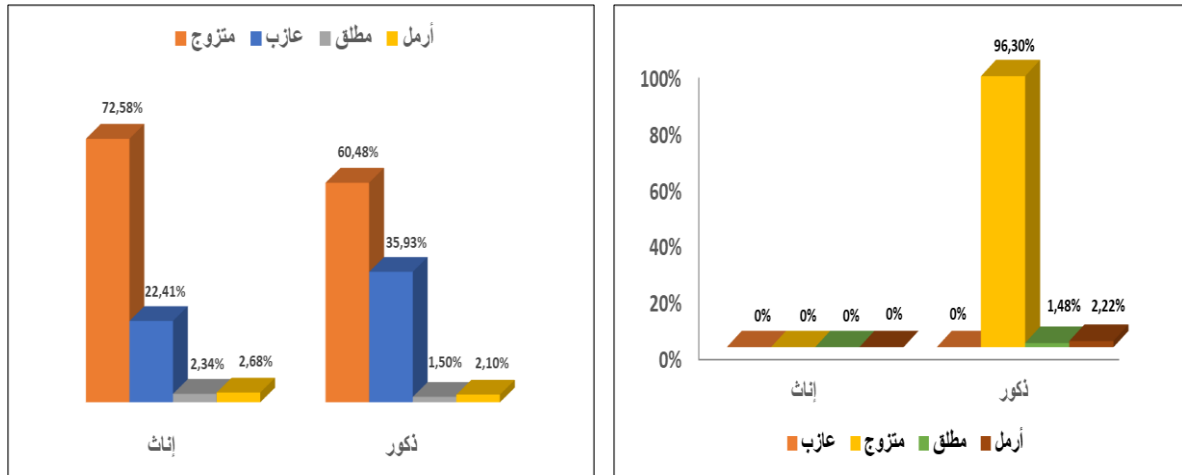
<sup>35</sup> - نفسه.

<sup>36</sup> - مديرية الشؤون القروية بعمالة أزيلال، تقرير سنوي حول السكن والسكنة بجماعات الإقليم، برسم سنة 2014، ص: 24.

<sup>37</sup> - نفسه.

أقسام متنقلة، إلا أن الأمر لم ينجح، نظرا لارتحال الأسر المستمر، بحثا عن الكأ والماء لماشيتها، لاعتبارها عصب اقتصادها المتجدد.

### مبيان رقم 1: الحالة العائلية لأرباب الأسر مبيان رقم 2: مجموع الأسر المستجوبة حسب الجنس والحالة العائلية



### مصدر: عمل ميداني للباحث 2014-2019

مع ارتفاع نسبة الأمية بين النساء المرتحات في الأطلس الكبير الأوسط، شهد المؤشر التركيبي للخصوبة بين الرجل ارتفاعا ملحوظا، حيث وصل هذا المعدل بالنسبة لرحل الأطلس الكبير الأوسط إلى 7,2 طفل لكل امرأة سنة 2004، وهو أعلى معدل سجل بالمقارنة مع الرجل بمجموع التراب الوطني (5,3 طفل لكل امرأة). ويبقى هذا المعدل مرتفعا مقارنة مع ما هو مسجل بالنسبة للسكان المستقرة في المناطق المجاورة كأيت بوكماز، وأيت أحمد، وأيت عباس... (3,2 طفل لكل امرأة)، والوسط الحضري كزليل (1, 2 طفل لكل امرأة).<sup>38</sup>

ويمكن أن يفسر ارتفاع المؤشر التركيبي للخصوبة عند الرجل بصفة عامة، بالمثل الثقافية لهذه الفئة، والتي ما تزال تنظر إلى كثرة الأبناء بنوع من الإيجابية، خاصة فيما يتعلق بالأبناء الذكور، انطلاقا من نظرة الرجل التقليدية، التي ترى أن الذكور يمثلون مصدر قوة وعز وتفاخر بين القبائل، وينظر لهم اليوم على أنهم مشاريع مستقبلية تساهم في التنمية الحيوانية كنشاط رئيس للأسرة، حيث يساعدون في تربية القطيع ورعيه، دون إغفال دورهم الفعال في رحلة الشتاء والصيف التي يقوم بها الرجل من الجنوب الشرقي صوب مراعي الأطلس الكبير الأوسط. هذه الرحلة التي تستدعي العون والمساعدة، نظرا لما لها من أهمية

38 - المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى برسم سنة 2004، ص: 260.

بالغة في الحفاظ على القطعان طيلة المسافة الرابطة بين مراعي الجنوب الشرقي ومراعي الأطلس الكبير الأوسط، وتحميل صغار الماشية في الشاحنات. هذه الأعمال ليست مقرونة بالقوة والشباب، بل حتى الأطفال الصغار، يساهمون في الحياة الرعوية، وذلك بالاعتناء بصغار القطيع وحراسته، وتقديم الأعلاف، ومساعدة النساء المرتحلات داخل المسكن الرئيس، أو داخل الخيمة، أثناء تواجدهن بمراعي الأطلس الكبير الأوسط.

#### 4- المكانة الاجتماعية للمرأة في مجتمع الرحل بين الثابت والمتحول

تعتبر المرأة أحد المكونات الأساسية داخل التنظيم الرعوي في الأطلس الكبير الأوسط، حيث تقوم بأدوار مهمة على المستوى الاجتماعي، ويتمثل أبرز دور للمرأة المرتحلة في هذا الإطار في التنشئة الاجتماعية، على اعتبارها المسؤول الأول عن تربية الأبناء، ومن دون تدخل الأب أحيانا، الذي يكون مرتبطا بأعمال خارج البيت كالرعي والتسوق.<sup>39</sup> وتقوم المرأة بتلقي أبنائها في فترة الطفولة العادات والتقاليد والقيم البدوية، ليكونوا قادرين على تحمل حياة الترحال التي يطبعها التقشف والندرة.<sup>40</sup> ويمكن القول، أن العادات التي تلقن للنشأ في الفترة الحالية، لا تختلف كثيرا عما كانت عليه فيما مضى، إلا أنها فرضت عليها العديد من المستجدات، من قبيل: ذهاب الأبناء للمدرسة في الوقت الراهن، وغيابهم لفترة طويلة، بالإضافة إلى الاحتكاك مع الأقارب القاطنين بالمدن ممن لديهم حمولات مختلفة في التربية والتنشئة الاجتماعية.

إن الدور الهام الذي تلعبه المرأة المرتحلة في تربية الأبناء، يجعلها مقدر من طرف الرجل، لا لمكانتها الاعتبارية داخل الحياة الرعوية بالأطلس الكبير الأوسط ككل، وإنما كأُم وأخت وزوجة، وإن كان في بعض الأحيان، لا يعترف بالأعمال المضنية التي تقوم بها المرأة، فإن طرق التعامل والاحترام الذي ما يزال يطبع أغلب الزيجات، كعدم تعنيفهن وسبهن في حالة الخصام...، تبقى كلها مؤشرات على اعتراف ضمني بهذه الأهمية. أما على مستوى الضوابط، فما تزال المرأة المرتحلة إلى اليوم، مقيدة بمجموعة من القيود الاجتماعية التي كانت في زمن الحماية وقبلها، لا من حيث الملبس، ولا طبيعة العلاقة مع الجنس الآخر.

وتبقى كل من المكانة والدور الاجتماعي للمرأة المرتحلة بالأطلس الكبير الأوسط، متغيرا وفقا لمراحلها العمرية؛ حيث يتأثران بانتقالها من مرحلة إلى مرحلة، ومن وضع اجتماعي إلى آخر. فداخل الحياة الرعوية بالأطلس الكبير الأوسط، تكون مكانة المرأة المتزوجة أعلى من غيرها، وتحظى بالوقار. ومكانة الولود أعلى نظريا من التي لم تلد بعد، إلى أن تصل إلى مرحلة متقدمة من السن، حيث تزداد مكانتها داخل

<sup>39</sup>- Archive du Maroc, Boit 13, Service des Affaire Indigènes Région de Marrakech Cercle D'Azilal, Annexe des Ayt Mohammed, Poste de Zaouïa Ahansal, rapport sur la Transhumance, Pâturage, 13 Décembre 1936, p: 4.

<sup>40</sup>- Ibid.

المنظومة الرعوية، وفيها تتخلص من الأعمال المضنية التي تقوم بها ولو جزئياً. كما يسمح لها بمجالسة رجال العائلة، وإبداء الرأي داخل الأسرة، وكذا داخل مؤسسة "اجماعة" في حال توفي زوجها.

إن النظام القبلي الموروث بمؤسساته التقليدية، لخص دور المرأة، في مهامها داخل البيت ومحيطه فقط. إلا أن التغيرات التي مست الحياة وثقافة الرعي بصفة عامة، أماطت اللثام عن العديد من الأدوار الجديدة التي تقوم بها المرأة المرتحلة. حيث وكما سبق وأشرنا إليه، فهي تلعب دوراً فعالاً في التنمية الحيوانية، والمساهمة في اقتصاد الأسرة المرتحلة، وذلك بتربية القطعان وتسمينها والعناية بها، لكن هذا الدور يقابله نوع من التهميش مقارنة بدور الرجل، والذي في كثير من الأحيان، يعتبر الدور الرئيس الذي يقوم على عاتق المرأة، امتداداً لأعمالها المنزلية المفروض القيام بها دون كلل ولا تأفف. والعكس من ذلك، فالرجل في مراعي الأطلس الكبير الأوسط، يستفرد بإنتاجية القطيع، وإن كان ينفقه على متطلبات الأسرة، إلا أن المرأة يرجع لها الفضل الكبير في تنمية القطيع وتسمينه، لذلك وجب أن تستفيد من عائداته -حسب بعض شهادات النسوة المرتحلات - الشيء الذي لم نصادفه في مجال الدراسة.

### خاتمة:

يعتبر توزيع العمل عند رحل الأطلس الكبير الأوسط، من العوامل التي تنبني عليها الحياة الرعوية داخل المجال. وقد لا يكون هذا التقسيم يراعي الفروق البيولوجية بين المرأة والرجل، حيث يعهد للنساء المرتحلات بالأعمال المضنية، التي تستوجب جهداً كبيراً طيلة اليوم، وهي أعمال لا تتناسب وطبيعتها الفيزيولوجية. ولذلك، يتم تقسيم العمل لدى رحل الأطلس الكبير الأوسط، حسب النوع الاجتماعي، وذلك ما لاحظناه بين رحل المجال المدروس، حيث تتكافأ المرأة بالتنشئة الاجتماعية التي تبقى لصيقة بها طيلة السنة، سواء داخل السكن الرئيس في الدوار، أو أثناء تواجدها داخل المراعي العلوية.

هذه الأعمال التي تتشارك فيها المرأة مع الرجل خارج البيت، بالإضافة إلى أعمالها داخله، أصبح في العشر السنوات الأخيرة ينفر النساء المرتحلات من حياة الترحال والرعي، وذلك بسعيهن الحثيث تجنّب بناتهن الوقوع والعيش حياة شبيهة بحياتهن؛ إما بتوجيههن نحو التمدرس بالنسبة للفتيات الأصغر سناً، أو تزويج الكيبرات منهن لأقاربهن المستقرين في المدينة، بغية تخليصهن من شظف العيش، وأتعاب وتبعات الحياة الرعوية.

وهكذا، فإن معظم التحولات السوسيو-اقتصادية والثقافية، التي يعرفها الرحل والتحويلات المجالية التي يعرفها المجال المدروس والمناطق المستقبلية للرحل، وإن كانت تفسر من طرف أفراد المجتمع بعامل

الجفاف، إلا أن هذا الأخير، ليس إلا عاملا ضمن عوامل متعددة، تتضافر فيما بينها لإنتاج تحول اقتصادي واجتماعي شامل، يسير في اتجاه اختفاء نمط الرعي الترحالي، أو بالأحرى نزوعه نحو الاختفاء، على الرغم من التكيف الواضح مع مختلف التحولات المذكورة. الأمر الذي بالإمكان التساؤل معه عن الأفق والبدائل الممكن تبنيها من أجل تجاوز الإكراهات التي ما يزال يعرفها النسوة المرتحلات في الأطلس الكبير الأوسط، مع الحفاظ على هذا النمط المعيشي المتفرد. ومن هذا المنطلق، ارتأينا تقديم العديد من المقترحات التي نرى أنه بإمكانها الحد والتخفيف من وطأة التأثيرات السلبية لمجمل التحولات المذكورة على مكانة النسوة المرتحلات، والتي يمكن تلخيصها في تشجيع الرحل وحثهم على تنظيم أنفسهم في تعاونيات رعية، والبحث عن صيغة لأقلمتها مع حياة الترحال، على أساس الاستفادة من التحفيزات المختلفة التي تقدمها الدولة (المساعدة البيطرية والتقنية، الأعلاف المدعمة، الإعفاءات الضريبية...)، وستمكن هذه التعاونيات في حال إنشائها، إلى جانب التحفيزات المذكورة، من ضمان شبكة تسويق المنتجات الرعية بشكل أفضل، وأكثر تثمينا من طرق البيع التقليدية. إضافة إلى الانفتاح على تربية أصناف جديدة ومنتقاة، وبالتالي التحسين التدريجي لحياة مربي الماشية الرحل، دون إغفال تشجيعهم على خلق أنشطة موازية موزعة للدخل للتربية الحيوانية، والتي يمكن لأفراد هذه التعاونيات الاستفادة منها، خاصة ما يتعلق بالصناعات التقليدية النسوية (منسوجات، أدوية تقليدية، صناعة الخيام، صناعة الزرابي...)، والصناعات المرتبطة بالألبان ومشتقاتها، ويتوجب على الجهات المختصة تسهيل عملية التوزيع والتسويق.

تقتضي الوضعية الحالية لرحل الأطلس الكبير الأوسط، بذل المزيد من الجهودات قصد استفادتهم من الخدمات الصحية والتعليمية، بما لا يتعارض واستمراريتهم في مزاولة الترحال، خاصة في ظل مستويات الأمية المرتفعة، وذلك بتبني تجربة الأقسام المتنقلة، أو المدارس الجماعية، في المناطق التي تعرف وفود أعدادا كبيرة من الرعاة، وتقديم تحفيزات للأسر التي تدرس أبناءها (خاصة الفتيات).

### لائحة البيبلوغرافيا:

- أحمد علوم، مقارنة الجغرافيا السياسية لدينامية الأنساق الطبيعية والاستراتيجية والاجتماعية والمؤسسية بأوساط هشة (الجال المتوسطة بجهة تادلة- أزىلال) نحو استراتيجية بديلة، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافية البشرية، تحت إشراف أحمد بلاوي، جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، السنة الجامعية 2013
- التوفيق (أحمد)، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إنولتان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، الطبعة الأولى.
- الخريطة الطبوغرافية لأزىلال، زاوية أحنصال، أيت بوكماز، 50000/1
- رواية شفوية سابقة للسيدة عبيشة أبيحة، من مواليد 1953 بأوسيكيس مسمير، تاريخ إجراء المقابلة 15.05.2015.
- رواية شفوية للسيد محند أيت عيسى، من مواليد 1967، بدوار برنات أيت أحمد، تاريخ إجراء المقابلة 16.6.2014.
- رواية شفوية للسيدة عائشة إحدى من مواليد دوار إكلوان بأيت بوكماز، تاريخ إجراء المقابلة 20.06.2017.
- رواية للسيدة تودة بويضمان، من مواليد 1969، بدوار برنات أيت أحمد، تاريخ إجراء المقابلة 16.6.2014.
- مديرية الشؤون القروية بعمالة أزىلال، تقرير سنوي حول السكن والسكنة بجماعات الإقليم، برسم سنة 2014.
- المنويبة السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى برسم سنة 2004.
- Archive D'Ait M'hammed, Cercle D'Azilal, Proces Verbal, note sur pâturage Alouz, 10 juillet 1937, Le Capitaine LAUBIES, chef du Bureau des Affaires Indigènes des Ait M'Hamed et Le Capitaine TORTRAT chef du Bureau des Affaires Indigènes de Ouauizarht.
- Archive D'Ait Mohammed, Cercle Zaouïa Ahansal, Cercle Azilal, Proces Verbal, pâturage Igourdan, le Capitaine LAUBIES, chef du Bureau des Affaires Indigènes des Ait M'Hamed, 1937.





- Archive du Maroc, Boit 13, Région de Marrakech, Rapport sur Les terres Collectives d'Azilal (ait boulli), 1930.
- Archive du Maroc, Boit 13, Service des Affaire Indigènes Région de Marrakech, Cercle D'Azilal, Annexe des Ayt Mohammed, Poste de Zaouïa Ahansal, Accorde de Transhumance, Pâturage, 13 Décembre 1936.
- Archive du Maroc, Région de Marrakech, Cercle D'Azilal, Poste de Bin El Ouidan, Notices sur les Zaouïas Confrères et Sanctuaires (zaouïa D'Ahansal), Le Lieutenant PAULIN Chef du Bureau des Renseignement, 10 Février 1923.
- BERQUE Jacque, Structures sociales du haut atlas, 2 édition; paris 1978.
- CELERIER (J), Les conditions géographiques de l'atlas central, Hesperis Tome XXXV, 3° et 4° Trimestres, Année 1948.
- CELERIER Jean, Les conditions géographiques de l'atlas central, Hesperis Tome XXXV, 3° et 4° Trimestres, Année 1948.
- COUVREUR George, La vie pastorale dans le Haut Atlas central, Revue de géographie du Maroc, n°13,1968, faculté des lettres-rabat.
- DRESCH Jean, Formes et limites climatiques et paléo-climatiques en Afrique du nord, A. Géogr. Paris, 63e année, n° 335, janv-févr.
- FOUGEROLLES André, le haut atlas central guide alpin, société nouvelle des impressions, Casablanca, 1982.
- FRISCH Jean, Le Maroc: géographie, organisation, politique, paris, Ernest Leroux, 1895.
- GAVINET Jordane, Appropriation, Usage et Gestion des ressources sylvo-Pastoral a Wabzaza, Atlas Central, Maroc, Mémoire présente pour l'obtention du diplôme d'ingénieur Forestier Spécialisation Foresterie Rurale et Tropicale.
- HERZENI Abdellah, l'Agdal à l'épreuve des stratégies familiales et de l'action collective, le cas des Ayt Bouguemmez, Agdal, Patrimoine Socio-écologique de L'Atlas Marocain, Sous la direction de Laurent Auclair Mohamed Alifriqui, IRCAM-IRD Édition 2012.
- LAOUST Emile, Mots et Choses Berbères, Publications de l'institut des Hautes Études Marocaines, Société Marocaine D'éditions, Rabat 1983.
- MONTAGNE Robert, les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc, édition Afrique orient, Casablanca.